تفسير آيات أولها الليبراليون

للمحدث عبد العزيز ابن مرزوق الطريفي

[الشريط الأول]

بسم الله الرحمن الرحيم

....منا إلا ونحن على الإسلام ، فإن نعمة الإسلام هي أعظم نعمة يوهبها الإنسان في هذه الدنيا ، ولهذا قال الله جل وعلا في كتابه العظيم ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ يونس: ٥٨ فأعظم نعمة يمنّ الله بها على عباده ويجب عليه أن يفرح ، أعظم من أي فرحة كانت من مال وولد وغير ذلك، هي نعمة الإسلام ، والله جل وعلا يوفّق ويهدي إليها من يشاء رحمةً منه ولطفا

[إرجاع الأمر إلى أصله يحسم كثيرا من النزاع]

ثم إنه من الأصول المهمة في دراسة الأفكار وكذلك الرجوع إلى معرفة أقوال الناس وأصولهم ،هو أن يُرجع الإنسان الشيء إلى أصله ومنبعه ولو كان بعيدا ، حتى يتصور الإنسان ذلك القول أو ذلك الفكر أو ذلك العرق أو ذلك الجنس أو ذلك البلد، فإذا انتزعه من تاريخه وكذلك أيضا من سياقه فإن الإنسان لا يمكن أن يتصور ذلك المعلوم على صورته الحقة ، فيجهل شيئا ويعلم شيئا ويحضره شيء ويغيب عنه أشياء ، ولهذا الله سبحانه وتعالى كثيرا ما يخاطب الإنسان ويذكّره بأصله حتى يعرف الإنسان مقامه من التشريع وكذلك من موضع النزاع ، فإذا عرف الإنسان مقامه من خالقه أدرك حقيقة الخلاف بينه وبين الخالق ولهذا قال الله جل وعلا في كتابه العظيم ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ غافر: ٦٧ وهذا من الله سبحانه وتعالى تذكير للإنسان بأصله وهذا في مواضع عديدة منها في قول الله جل وعلا ﴿ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾ طه: ٥٥ تذكير للإنسان بأصله حتى يعرف حقيقة الصراع في هذه الأرض وكذلك أيضا حقيقة الجدال والمناظرة بينه وبين خالقه فيعرف قيمته من جهة المكابرة ومعاندة النفس ، ولهذا الله سبحانه وتعالى يعرّف الإنسان بتكوينه في ذاته حتى يعرف حقيقة نوازع الإنسان وفطرته التي تخرج منها كثير من المعلومات ، فعرّفه الله جل وعلا بنفسه ، وعرّفه بهواه وعرّفه بعقله ، وأمره الله جل وعلا أن يتدبر بالمزيد من ذلك في قوله سبحانه وتعالى ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الذاريات: ٢١

إرجاع الشيء إلى أصله يحسم كثيرا من النزاع لمن أراد الحق ولهذا لمّا جادل الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب في حقيقة عيسى قال الله جل وعلا ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ ﴾ آل عمران: ٥٩ فالله جل وعلا بيّن حقيقة عيسى عليه السلام وأرجعه إلى أصله ، حتى يعرف الإنسان ذلك الأصل ثم يجادل عليه

كذلك فإن الإنسان إذا عرف تراكيب المعلومات وحلّلها فإنه يسهل عليه أن يركّبها مرة أخرى ، فإن أهل النظر والعقل من الفلاسفة والعقل يقولون :إن الإنسان إذا لم يتمكن من تحليل الشيء فإنه يشق عليه تركيبه ، والذي يعتاد تحليل الأشياء فإنه يسهل عليه تركيبها بعد ذلك وهذا كما أنه في المعاني والمعلومات ، كذلك أيضا في الحسيات والمعلومات والمدركات بالحس أو باللمس فإن الإنسان الذي يحللها يسهل عليه إرجاعها وهذا في سائر المدركات والمعلومات

[الفرق بين المسلمين و النصرانيين من حيث الاتصال برب العالمين]

اللبرالية التي هي أصل كلامنا في هذه الدروس ، كثير من الناس يجتزؤها من سياقها ويعيدها إلى العقل المجرد وكثير من الناس يعيد هذه الفكرة أو هذا الأصل إلى أصل عقليّ محض، وهذا التأصيل مرجعه من جهة النظر صحيح ، ولكنه نوع من اجتزاء الفكرة ، وأخذها من سياقها التام ولهذا يجهل كثير من الناس حقيقة هذه الدعوة

اللبرالية التي ينبغي أن نقدم قبل الولوج في موضوع الباب وهو (تفسير الآيات التي تأولها كثير من اللبراليين) اللبرالية كفكر هي نشأت في بيئة مسيحية ، تدين بالنصرانية ، وهذا المنشأ إذا عرفت هذه البيئة ينبغي أن تدرس حقيقة هذا المجتمع وكذلك هذا المنشأ، وحقيقة هذا الدين

وكما لا يخفى أن الأصل من جهة تحكيم العقل والرجوع إليه له حظ وافر في المسيحية باعتبار أصول ما لديهم من كتاب عن انغماسهم في شؤون الحياة وتنظيمها ، فإن الله سبحانه وتعالى قد جعل كتابه الكريم وهو قرآنه العظيم مهيمنا على سائر الكتب ، وكذلك صالحا لأمر الدين والدنيا ، وجعل تمامه مشيرا إلى قصور كثير من الكتب السماوية السابقة، باعتبار عدم الاشتراك في مجموع الخصائص ، فإن الله جل وعلا جعل كتابه صالحا في كل زمان ومكان ، وجعل الرسول الذي حمل ذلك الكتاب مرسلا إلى الناس كافة كما قال الله جل وعلا ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ سبأ: ٢٨ وقال الله جل وعلا ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨ وكذلك أيضا في قول الله سبحانه وتعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ الفرقان: ١ ، فالله جل وعلا قد أنزل كتابه للعالمين ، هؤلاء العالمين يقتضي تنوعهم تنوع أفكارهم وكذلك مصالحهم ومشاربهم ، ومقتضى ذلك أن يكون القران صالح لسائر تلك الأنواع والأجناس ،إذا عرف الإنسان ذلك عرف البون بين كتاب الله عز وجل القران ، وما خصه الله جل وعلا بجملة من الخصائص التي تباينت عن سائر الكتب

أصل كل فكرة عقلانية في بني إسرائيل ومن بعدهم هي : الفلسفة العلمانية ، الفلسفة العلمانية يظن كثير من الناس أنها وُجدت في الأزمنة المتأخرة وهي ما قبل الإسلام ، وتسمى أيضا في بعض الدواوين والقوانين المساحية بهذا الاسم ، الفكر المسيحي أو المجتمع المسيحي ينقسم في بيئته وتركيبه حتى قبل الإسلام إلى قسمين

القسم الأول :الإكليروس ، وهم رجال الكهنوت ورجال الدين وهؤلاء الذين يجعلون من أنفسهم الواسطة بين الخالق والمخلوق، وهؤلاء هم رجال الدين الذين يسمون برجال الدين أو رجال الكهنوت ،أو رجال اللاهوت ،أو القساوسة ، أو القديسون ونحو ذلك ، هؤلاء هم الذين يربطون سائر الناس برب العالمين

القسم الثاني :هم العلمانيون ، العلمانيون ما كان خارجا عن رجال الدين ،رجال الدين من أهل الكنيسة قد اختصوا بجملة من الخصائص لا يشاركهم في ذلك أحد من سائر الناس ، يختصون بالتعميد ، فإن الإنسان لا يولد إلا بتعميد من القس أو رجل الكيانة وهو رجل اللاهوت أو القس ، حتى يعمّده ،أي يثبت تدينه بالنصرانية ، فإذا ولد المولود في البيئة النصرانية و لم يُثبت على هذا النحو فإنه لا يُعترف بديانته بكونه نصرانيا

كذلك فإن ملازمته برجال الكهنوت بصلته من سائر الأنواع ، من جهة التعميد في ابتداء ولادته ،كذلك أثناء حياته فيما يقترفه من ذنب ، فإذا اقترف ذنبا فإنه لا يتوب إلى الله مباشرة وإنما يذهب إلى القديس ، يذهب إلى القس أو رجل الكهنوت وللاهوت فيتوب عنده ويعطيه صك الغفران ،فلا يمكن أن يصل إلى الله جل وعلا إلى بواسطة أولائك

كذلك أيضا فإنه في حياته حتى أمر الزواج فإنه لا يتزوج إلا بتشريف وتشريع من ذلك النوع وهو القسم الأول

كذلك أيضا في حال وفاته فإنه لا يموت على الملة وعلى الفطرة المسيحية إلا بتدفين وتشريع من رجال الكهنوت ، فإنهم يقومون على تغسيله وتكفينه بذواتهم ومن غسله من غيرهم فإنه لا يكون قد مات على تلك الملة

وهذا منفك عن بيئة الإسلام ولا يوجد في شريعة الإسلام هذا التقسيم من جهة الأصل والذي يوجد في الإسلام علماء الدين وعلماء الفقه الذين يبلغون الرسالة مجردة إلى غيرهم ببيان الحق ويسألون ويبلغون النص ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينا حقيقتهم كما جاء في المسند وغيره من حديث عبد الله ابن عمر وكذلك أبي هريرة وأبي الطفيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين) ولا يوجد شيء اسمه: رجال دين ، حتى يقابل ذلك رجال الدنيا ، ولا يوجد القسم الأول حتى يقسم الثاني

كذلك فإن الانسان ليس بحاجة في ولادته أن يُشهد بإيمانه حتى إنه يولد في مجتمعات الاسلام على فطرته التي فطره الله جل وعلا عليها وينشأ على ذلك

كذلك أيضا بالنسبة لزواجه يحتاج في ذلك إلى شاهدين من المسلمين سواء من البقالين أو الجزارين أو سائر البسطاء في الشارع يشهدون في زواجه ويتم من ذلك زواجه ، وليس بحاجة إلى تعميد أحد

كذلك أيضا بالنسبة لطلاقه على هذا النحو

كذلك أيضا بالنسبة لتوبته إذا وقع في ذنب فإن الشارع يؤكد أن الإنسان لا يصرف توبته إلا لله جل وعلا ولا يجعل وسيطا بينه وبين الله وأن من حدث بذنب قد اقترفه غيره فإنه قد جهر بالمعصية ،ولهذا (كل الأمة معافى إلا من جهر) كما يروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولهذا فإن الانسان إذا وقع في ذنب يتوب إلى الله جل وعلا بينه وبين الله ويكتم سرّه ومن بلّغ غيره بذلك الذنب من غير حاجة فهذا ممن هتك ستر الله جل وعلا عليه وقد ذمه الله جل وعلا فلا يوجد في الشريعة صكوك غفران وإثبات توبة من عدمها ،وإنما هو دلالة خير بأن يذهب الإنسان إلى الله

جل وعلا ويتضرع لديه ويتوب ويستغفر ، فلا يوجد خلاف بين الإله وبين عبده ، ولا يوجد هذا التقسيم ، بل شدد علماء الإسلام كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين ذلك الأمر بكلام الله جل وعلا ، وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد في تحريم الواسطة بين العبد وبين ربه لهذا قال الله جل وعلا في كتابه العظيم في بيان أنواع سائر العبوديات ،أنه لا يمكن أن تتحقق العبودية التامة التي أمر الله جل وعلا بها إلا بصرفها لله جل وعلا خاصة ، ولهذا قال الله جل وعلا في كتابه العظيم ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ البينة: ٥ ، وقال الله جل وعلا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ﴾ النساء: ٤٨ بل شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جعل الوسائل الموصلة إلى الشرك ، من وسائل الشرك وجعلها من الشرك الأصغر الذي قيل – في كلام بعض العلماء- أنه يدخل في أبواب الشرك الأكبر الذي لا يكفّره الله جل وعلا ، فشدد العلماء وأنكروا على كثير من البدع التي دخلت في دين الإسلام ، فحرموا كثيرا من الوسائل مثل تعليق التمائم والتولة والشرك ، وكذلك تعليق الخيط وكذلك التعلق بالأوهام من الكواكب والنجوم مما لم يبين الله جل وعلا سببه شرعا أو قدرا

وكذلك أيضا بيان أن الغيب من حق الله جل وعلا ، ليس لأحد أن يدعي علم الغيب ، لا العلم الماضي ولا العلم المستقبلي ، والعلم المستقبلي لا يمكن لأحد أن يعلمه بالقطع إلا الله جل وعلا ،أما العلم الماضي فإن الإنسان قد يعلمه ولكن بطريقة محسوسة ، إما بنقل الأخبار أو بوجود الاثار الملموسة التي يجد الانسان بها أثرا لغيره فيثبت وجوده بهذا الأمر ، فهذا من المدركات ، وهذا من الأمور المدركة بالحس

وقطع الشارع كثيرا من الامور التي تحدث حتى في الأزمنة المتأخرة ما يسمى بقراءة الكف وقراءة الأبراج باعتبار أنها أوهام ، تربط بين الانسان وبين ربه بحلقة وتلك الحلقة لابد من إزالتها وهي: الشرك ،ولهذا شدد أهل الإسلام على هذا الأمر أنه لا يوجد واسطة بين المسلم وغيره

فتركيب بيئة الإسلام تختف عن بيئة المسيحية ولهذا نعلم أن العلمانيين الذين هم القسم الثاني ، وجودهم قد أنشأ البذرة بالانفكاك والانفصال عن رب العالمين عن سائر الناس ، وأن مردهم إلى هؤلاء إن ظلموا ظلموا معهم وإن صدقوا صدقوا معهم ، فوق نوع من الضلال والانحراف الذي أثبته الله جل وعلا في كتابه العظيم

[لا توجد فطرة مكبوتة في الإسلام إنما هي منظّمة]

كان ثمة ضلالات في هذا المعنى وهذه الدلالة ، ولما كان منشأ العمل بالعقل وكذلك هذه الفئة وهي سواد الناس ، والذين يسمون بالعلمانيين هم أكثر الناس ، دعا كثير من الناس أن يكون من العلمانيين وأن لا يكون من القسم الأول ، وذلك أن القسم الأول قد حرم على نفسه أشياء لم يحرمها الله جل وعلا من ذلك أنهم حرموا على أنفسهم الزواج ، فكان من رجال الكهنوت وكذلك اللاهوت وكذلك أيضا نساء اللاهوت أن لا يتزوجوا وأن لا يتزوجن ويحرم عليهم الزواج ، فوقعوا في كثير من مناقضة الفطرة ،فوقعوا في شيء من الفواحش ومخالفة أمر الله سبحانه وتعالى بإشباع الغرائز

والقاعدة الفطرية أنه: ما من فطرة غرسها الله جل وعلا في الانسان فيلغيها ، فإلغاء الفطرة الموجودة ممتنع من الشرع ولكن الشارع يثبت أمر الفطرة ولكن ينظّمها كحال الإنسان في إطلاقه البصر ، فإن الله عز وجل قد رزقه بصرا وهذا يقتضي إطلاق البصر وهذه فطرة ، والله جل وعلا ما أمره بالعمى والانكفاف ، وإنما منعه من أشياء وجعله يسرح في الباقي ، كذلك الشهوة الغريزية للمرأة جعلها الله جل وعلا منظّمة بقيد وضوابط و لم يكبتها، ولا يوجد فطرة غريزية مكبوتة في الإسلام إنما هي منظّمة في هذا الأمر ، فلا منع ولا انفلات في ذلك

[الدعوة الآريوسية]

وهذه التقسيمات كانت من التحريف الذي نال شريعة أهل الكتاب الذي قام به الأحبار والرهبان ، فكان ثمة نوع تصحيح قبل الميلاد لهذه الفطرة ،أو لهذه الشريعة المبدّلة ، وكذلك عدم قبول من جهة العقل بها ، فظهر دعاة من النصرانية ، من بني إسرائيل بأن هذه الشريعة شريعة باطلة و لم تكن على هذا النحو سواء كانت من العقيدة المتعلقة بالله جل وعلا بالإيمان بالثالوث ،وبأن الله جل وعلا وابنه وروح القدس هم الذين يعبدون ، وهؤلاء يرجعون ويشتركون في إدارة الكون ، وأن هذا المعنى لا يمكن أن يتحقق من جهة العقل

كذلك أيضا ممارسات أخرى من جهة الصلة بين العبد وبين ربه التي قننوها ووجدت في حياتهم على هذا النحو ، فكان ثمة نوع تعطيل للعقل ، وكذلك أيضا كانت هي اللبنة الأساس في تركيبة ذلك المجتمع أن يتمرد في ذاته ثم يذهب إلى غيره فيغريه بالمال ثم يعطيه صكوك الغفران ، فكان ذمة نزع لوازع الفطرة في ذات الإنسان ، وأن الله جل وعلا لا يرتبط بالعبد مباشرة إلا عن طريق أولائك الكبار ، فيتمرد ثم رجع ليشتري في ذلك صكا

ظهر قبل الإسلام من يحاول تصحيح تلك الدعوة الشركية وهو رجل من المسيحيين يسمى (آريوس) وقد دعا إلى توحيد الله جل وعلا وذلك في أوائل القرن الرابع، ودعا إلى توحيد الله جل وعلا وقال أن الله سبحانه وتعالى خالق وحده وأن الله جل وعلا ليس بثالث ثلاثة ، فلا يوجد ابن لله جل وعلا ، ولو وجد ابن فإنه يصعب أن يؤله حينئذ فإنه قبل وجوده لم يكن مع الله جل وعلا متصرفا ، ولما كان بعد الله جل وعلا لم يكن ليشارك الله جل وعلا قبل ذلك ، لأن الله جل وعلا أحق منه بهذا الأمر ..فنبذها من جهة الفطرة فنوزع في ذلك نزاعا شديدا ، وأصبح ثمة انشقاق في المجتمع المسيحي حتى تبعه على ذلك جماعة من القساوسة قيل أنهم قد بلغوا ستة عشرة قسا من الكنيسة الارثدوكسية ، وهي الكنيسة الشرقية ، ومنشؤها ومقرها في مصر في الاسكندرية ، وذلك في أوائل القرن الرابع الميلادي ، وأصبح هنالك انشقاق ، فطرد من بلاد مصر وذهب إلى فلسطين وذهب إلى الساحل الشرقي والغربي من مصر ينشر فكره ، ثم حسم هذا الأمر بإصدار صك وبيان فيه أنه شاذ ، وخرج عن الناموس وخرج عن إجماع القساوسة في ذلك ثم اضمحل الذين يتبعونه على ذلك ، حتى تبعه على ذلك اثنان ، ثم تلاشت هذه الدعوة ، وماتزال هذه الدعوة موجودة في دواوينهم وتسمى بالدعوة الآريوسية ، وهي عقيدة الآريوسية وهي عقيدة التوحيد اضمحلت وتلاشت

[أقسام النصرانية ومعتقداتها]

وما بقيت من عقيدة المسيحيين ، وبقوا على ذلك ، وعقدوا على ذلك مجاميع قديمة وكذلك حديثة وأثبتوا أن العقيدة لا تخرج عن ما هم عليه فانقسموا في ذلك إلى قسمين

القسم الأول :هم الكاثوليك وهم غالب المسيحيين في العالم وهم في أوربا ، الذين يقولون أن للمسيح شخصيتان :

الشخصية الأولى: شخصية إلهية

والشخصية الثانية: شخصية بشرية

الشخصية الإلهية : هي قبل أن يكون بشرا ويترل ويدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وتعالى كان إلها ، وبعد أن وُجد بينهم فهو إله

والمرحلة مرحلة الدعوة حينما كان يمشي بينهم ويمشي في الأسواء ويأكل الطعام هذه المرحلة البشرية

[القسم الثاني] وهم يتفقون مع الارثدوكس وهم الملة الثانية التي توجد في مصر وهي الكنيسة الشرقية التي تقول :ليس للمسيح إلا صفة واحدة وطبيعة واحدة وهي طبيعة الألوهية ، واتفقوا مع الكاثوليك في إثبات الألوهية أولا وأخيرا واختلفوا في مسألة الوسط في ذلك واتفقوا في الحال باعتبار أن المسيح إله ويتصرف في أمر الكون والكنيسة الشرقية هي في مصر أصلها ويدين بها المسيحيون في روسيا وكذلك في بلاد البلقان وكذلك ايضا في جملة من البلاد الشرقية سواء في الشام والعراق ونحو ذلك

وأما الكنيسة الكاثوليكية فإنها التي تثبت لعيسى صفة بشرية حال نزوله وبقوا على هذا الأمر وكان ثمة جملة من التمرد على هذا البغي

[دعوة النبي صلى الله عليه وسلم للنصارى]

جاء النبي صلى الله عليه وسلم بعد دعوة آريوس التي مسحت ، دعا النبي صلى الله عليه وسلم حينما أرسله الله جل وعلا بنسخ ذلك الدين المبدّل فدعاهم الله جل وعلا إلى شيء وصلوا إليه بعد قرون مديدة ، أن الإنجيل ليس على شيء وأن اليهود والنصارى ليسوا على شيء ولهذا قال جل وعلا ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ ﴾ المائدة: ٦٨ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمره الله جل وعلا بتوجيه الخطاب إلى اليهود والنصارى ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٧١ ﴾ آل عمران: ٧١ فبين الله جل وعلا أنهم يلبسون الحق بالباطل فدعاهم إلى التوحيد وتحرير العقول من أن يعبدوا غير الله سبحانه وتعالى وتحريرها أيضا من الزيغ والضلال والأوهام وكذلك أيضا من البدع والخرافات

وكذلك التعلق بأي أحد كان ،فبين الله جل وعلا أنه لا صلة بين العبد وبين ربّه لا لنبي ، فلا تكون التوبة لنبي حتى في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا لعالم من علماء المسلمين فضلا عن صورة ،أن تكون تلك الصورة من صنم أو وثن أو كوكب أو كذلك أيضا من وهم يعلقه الإنسان أو يعلق به قلبه من قراءة الكف والأوهام وغير ذلك ، فنبذ الشارع ذلك وبقي هذا الأمر

دعا النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب إلى تحرير عقولهم من هذه الخرافات وأن التوراة والإنجيل لا يمكن أن يصلوا بها إلى شيء تستقيم به الحياة ، ووجه لهم النداء ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ المائدة: ٦٨ ،أي أن ما بين أيديكم من شيء فهو محرف لا يمكن الوصول إليه ولذلك دعاهم الله إلى كلمة سواء فقال الله جل ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ آل عمران: ٦٤ فأمرهم الله جل وعلا بأن يأتوا إلى التوحيد ،وأمرهم جل وعلا أن يحرروا العقول من تلك الأوهام والخرافات ولكن لم يستجيبوا وآثروا المكابرة لما عرفوا الحق الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

جاهد النبي صلى الله عليه وسلم النصارى وبين لهم تحريف الكلم كما تقدم الإشارة إليه في نصوص كثيرة ، وبين أنه من الشرك عبادة الأحبار والرهبان ﴿ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ التوبة: ٣٤ فبين الله جل وعلا أن أولائك يأكلون أموال الناس بالباطل تلبيسا بنقل غير الحق إليهم بصورة الحق ، فيأكلون بصكوك الغفران ويأكلون إليهم بقبول توبهم على نحو لم يأذن بالله جل وعلا

كذلك أيضا يتوجهون إليهم بشيء من التلبيس والتدليس من أنواع الرق والعبودية ، وكذلك استدرار المال ، وبين الله جل وعلا أن هؤلاء الأحبار والرهبان عباد باعتبار أنهم يشاركون الله في حكمه ولهذا قال الله جل وعلا في كتابه العظيم ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ﴾ يوسف: ٤٠

وبين الله سبحانه وتعالى أن طريقة أهل الكتاب المجتمع وهو القسم الثاني مع القسم الأول طريقة العبودية وأنه ينبغي أن يتحرروا من ذلك كما قال الله جل وعلا في كتابه العظيم ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣١ ، وقد جاء في السنن وغيرها من حديث عدي ابن حاتم رضي الله عنه أنه لما سمع هذه الآية وكان يغفل عن تلك الطبيعة التي هو عليها ،فقال يا رسول الله :إنا لم نكن نعبدهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم (أليسوا إذا أحلوا ما حرم الله أحللتموه وإذا حرموا ما أحل الله حرمتموه) قال: نعم . فقال (فتلك عبادتهم)،فكان الأمر والنهي وسن القوانين وتوجيه الخطاب للناس نوع من العبودية التي بين الشارع بطلانها، فدعاهم الله جل وعلا وبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم في عبودية وطغيان ينبغي أن يخرجوا من ذلك فكابروا وعاندوا

فلما كابروا وعاندوا قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم أولائك ، وأطرهم على تلك الحرية ، وأنه ينبغي أن يرتبطوا بالله جل وعلا الخالق ، و لم يكن في مساحة عقول النصارى أن يعبدوا وثنا وصنما ، هذا لم يكن لديهم ، لم يكن لديهم إلا تحرير الواسطة ، ونزعها أن تكون صلة بينهم وبين الله جل وعلا ، و لم يكن دعاؤهم يشابه دعاء كفار قريش من

الوثنيين ، فكان لهم خطاب على سبيل الاستقلال ، فناداهم الله جل وعلا بأنواع الندا المتباين المختلف عن طريقة الوثنيين ، فداعهم الله سبحانه وتعالى فكابروا فقاتلهم على ذلك ، وكثير منهم قبِل الإسلام ودخل حياضه عن قناعة وقبول ، وكثير منهم آثر أن يخرج من بلاده وأن يرفع السيف في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي دعاهم إلى الحق وإلى الحرية الحقيقية ،وإلى النور

وبين الله جل وعلا أن دعوة النبي صلى الله عليه وسلم هي النور وهي التنوير على سبيل الحقيقة وأن ما هم فيه هو الضلال ، والظلام ولهذا قال الله جل ﴿ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ البقرة: ٢٥٧ ، بين الله سبحانه وتعالى أنهم في ظلام وأن دعوة محمد صلى الله عليه وسلم هو النور الذي ينبغي أن يصلوا إليه

كان ثمة نوع من التمرد قبلوا المقاتلة ، كان ثمة قتلٌ فيهم ، قالتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشام والعراق ، وقاتلهم في مصر ، وفي أطراف بلاد البلقان ، وفي تركيا وفي غير ذلك ، وكذلك قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباعه من جهة الشرق الوثنيين ،فعاندوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اتباع الحق وبقوا على ما هم عليه

[دعوة مارتن لوثر وسببها]

فكان ثمة صراع في تحرير تلك العبودية من داخلهم من غير خضوع لدعوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وظهرت دعوات شبيهة بدعوة آريوس السابقة التي قبل الميلاد ، وكانت تُقمع و لم تكن ثمة دعوة ظاهرة للتحرير من داخل الكنيسة وتكون قوية تجعلهم يتأملون إلا دعوات أصبحت متأخرة في القرن السادس عشر ، وقد ظهر في ذلك جماعة من العقلانيين من الفلاسفة من داخل الكنيسة وكانوا من القساوسة الذين أدركوا ذلك البطلان و لم يكونوا على معرفة بنصوص الوحي من كلام الله جل وعلا وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فظهرت مجموعة من الفلاسفة الذين أظهروا التمرد على الكنيسة، فظهر في بلاد الألمان (**مارتن لوثر**) وهو فيلسوف في أوائل القرن السادس عشر ، وكذلك تبعه على ذلك فيلسوف وهو (**جون كالفن**) فتبعه على دعوته بأن هذه الكنيسة كنيسة محرفة ، وباطلة وأن ما فيها تدليس وأن صكوك الغفران التي يروجون لها بين الناس هو أمر باطل

والذي دعا مارتن لوثر إلى هذا الأمر أن يبين ذلك البطلان أن رئيس الكنيسة في روما لما احتاج إلى المال دعا إلى شراء صكوك الغفران ،فقام بإنشاء صكوك غفران لدعم الكنيسة ،وأعلن حاجة الناس إلى شرائها وقال كلمته المشهورة في ذلك أن الإنسان إذا اشترى هذا الصك ولو فعل أعظم جرم ،ولو قد واقع العذراء عليها السلام ،فإن الله جل وعلا سيكفر عنه ذلك الذنب كان هذا الامر شديد الوقع على المجتمع المسيحي في هذا ، وغلب على صاحب الكنيسة ،أو رئيس الكنيسة هذا الإطلاق لحاجته إلى المال ، قام مارتن لوثر ببيان ذلك الأمر ، وكان عابدا وراهبا ،وكان لشدة تعبده وترهبه أن انقطع حتى عن الزواج ،وكان يذهب لإظهار المسكنة إلى الأسواق ،ويقوم بمسألة الناس لأجل ومصلحة الكنيسة ،وكذلك لإظهار التواضع والانكسار أمام الله سبحانه وتعالى ،فكان ثمة وازع فطري وليس مترعه شيء من

الشرع ولا شيء من الوحي ،فقام بمعارضة ذلك الأمر، وكذلك أيضا دعاه إلى الانفصال عنها ،والدعاء إلى أن هذا نوع من البطلان وكذلك الزيغ وأظهر في ذلك ميثاقا وبيانا وكتبه بمعارضة صكوك الغفران، ما كان إلا أن اجتمعت الكنيسة برئاسة رئيس الكنيسة بروما أصدر فيه أمرا يجرّم فعله وخروجه وكذلك نزع الكهنوتية منه ، فدعاه ذلك إلى أن خرج من عباءتهم وأخرج ما في جعبته ودفعه ذلك إلى مزيد من التأمل ببيان البطلان الذي هم عليه

فأبطل أمر عدم الطلاق في شريعتهم ودعا إلى الزواج وأن ما يدعون إليه من تحريم الزواج على رجال الكهنوت واللاهوت الذين يسمون الإكليروس كما تقدم الاشارة إليه أن هذا من الأمور الباطلة ،وتزوج براهبة إمعانا ببطلانهم وأنهم على زيغ وضلال

كذلك أيضا الأصل الذي أثاره في ذلك، هو صكوك الغفران، وأنه لا ينبغي أن يكون بين العبد وبين ربه أحد واسطة في ذلك ،وأن الأمر يكون بين العبد وبين ربه لا يبوح لأحد بينه وبين ربه، كذلك أنه لا ينبغي لأصحاب الكنيسة أن يأخذوا من أحد مالا ، وظهر في ذلك دعوات وسموا أولائك الذين يدعون بهذه الدعوة (**البروتستانت**) الذين سموا بعد ذلك بهذا الاسم وهذا اللفظ في اللغة الانجليزية يعني الذين يحتجون على هذا الأمر ،وسموا بهذا الاسم ونشأت كنيسة ثالثة هي خارجة عن (**الكاثوليك**) و(**الأرثودوكس**) بهذه الكنيسة ، وكان روادها (**مارتن لوثر**) وكذلك(**كالفن**) وظهروا على هذا النحو ، وأنشؤوا هذه الكنيسة ،وأثاروا مسألة التقشف وكذلك وضع التماثيل ، ولهذا الكنائس التي تنتمي إليهم (**للبروتستانت**) لم يكن فيها إلى يومنا هذا ما يسمى بالأصنام وكذلك الصور ،وكذلك لم يكن فيها البذخ ،إلى يومنا هذا فكانت منتزعة عن تلك الطريقة

أبعدوهم وخرجوا عليهم وكذلك بينوا أنهم قد خرجوا عن طريق الحق ورضا الله سبحانه وتعالى بإظهار بيانات فيهم ،كانت هذه الظاهرة هي من داخلهم ،ولم تكن نزعة إسلامية وإنما نزعة فطرية كان مردها إلى العقل ، ولكن هذا العقل مشوب بجملة من النقائص ،فلم يخرجوا عن كثير من العقائد التي كانوا عليها كعقيدة التثليث، وإنما أنكروا كثيرا من تصرفاتهم من المسائل الدنيوية وإن كانوا من داخل الكنيسة

[انقسام البروتستنت]

لّما كان دعاة هذه الفئة (**مارتن لوثر**) وكذلك أيضا (**جون كالفن**) دعوا إلى هذه الدعوة وكذلك منابذة الكنيسة وهي كنيسة روما على هذا النحو أصبح لهذين أتباع كثر يدعون إليه ،ولما كان هذا التصحيح مردّه إلى العقل يريدون أن يصححوا دينا محرفا بعقل مجرّد وهذا من الأمور المحالة أن يكون ذلك النظام صحيحا بالعقل المجرد ، انقسم أتباع (**مارتن لوثر**) وكذلك (**كالفن**) لفئتين وتقاتلا وتصارعا ،بالردود وكذلك بالسِّنان ، تقاتلوا على مدى ثلاثين عاما ، فأصبحت (**الكالفينية**) تختلف عن (**اللوثرية**) في ذلك ، ولم يحلّ ذلك الأمر، وكانت دعوتهم في ابتداء الأمر ، أنه ثمة تفاؤل بتصحيح أمر الكنيسة من داخلها

فلمّا وقع الصراع لم يترع ذلك الصراع بعد وفاة هذين بنحو مائة عام ،بأتباعهم ،إلا باجتماع مندوبين من سائر بلاد أوربا ، وذلك عام ألف وست مائة وثمانية واربعون للميلاد (1648مـــ) اجتمعوا على أن الدين الكنسي أو أن الدين المسيحي لا صلة له بالسياسة ولا بحياة الناس ،فحُسم الخلاف بين (**اللوثرية**)و (**الكلفينية**) وخرجوا بهذا الأمر وهو :أن (**الكاثوليك**) وكذلك أيضا (**اللوثرية**) وكذلك (**الكلفينية**) هي ديانة تسامح ،كل يعبد الله عز وجل كما يريد ، وأنه لا يصلح الناس إلا أن يُفصل أمر سياسة الناس و مجتمعهم ،عن ما هم فيه من تعبد ، فنشأ ما يسمى بـــ: تسامح الدين في ذلك الزمن لديهم ،والذي وصلوا إليه في هذه المرحلة هو الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك ، وبين لهم ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ ﴾ المائدة: ٦٨ ، وبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحرفون الكلم عن مواضعهم ، فوصلوا إلى نصف المرحلة وهي : أن التوراة والإنجيل ليست بصالحة للحياة، وهو الذي قالتهم صلى الله عليه وسلم ، وآثروا إراقة الدماء والأسر والعبودية ،وأن يجلوا من ديارهم وبلدانهم إلى أطراف أوربا فدخلت العراق ، وكذلك الشام، وكذلك أيضا بلاد تركيا ومصر في الإسلام، وآثروا البقاء بدفع الجزية ومغادرة كثير منهم بلدان المسلمين ، واقروا بذلك بعد تسع مائة سنة بما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

[حرية الدين]

ولما كان هؤلاء المفكرون الذين وصلوا إلى ما وصلوا إليه بعيدون عن معاقل الاسلام ،ولم يكن دين الاسلام قد وصل إليهم ناضجا ،كانت تلك الدعوة هي دعوة فطرية ،فيها نوع تأثر بالاسلام بالفطرة أو ربما بالمخالطة ونحو ذلك

والذين يدعون إلى الإسلام ،وهيبة لقلوبهم وعرقهم ، تمتزج الاعراق وكذلك أيضا الشعوبية ، وكذلك قيمة البلدان بما هم فيه ، ولا يستطيعون أن ينتقلوا ، فحينئذ يصلون إلى شطر الحقيقة الذين يستطيعون أن يخرجوا منه ، وهو أن يخرجوا الناس مما هم فيه من ظلام ، ويخرجونهم إلى حرية الدين ، فلا يستطيعون أن يدخلوهم في الإسلام ولا في غيره فدعوا إلى حرية الدين ،وهذا أقصى ما يصلون إليه ، لأنهم لو دعوا للإسلام لقتلوا وصلبوا ، ولم يُقبل منهم ذلك ، لأنه يظهر في تلك المجتمعات التعصبات العرقية ولو لم تكن دينية ،كذلك أيضا الإقليمية والقطرية، فتشترك وتمتزج مع الدين ولا يقبل منهم ذلك الحق ، فرضوا بأن تكون الحرية هي حرية دين ، أن يخرج الانسان من الدين الذي هو فيه ، ويخرج إلى ما يريد ، فظهر لديهم في ذلك الزمن حرية الدين و الانتقال من الدين الذين هم فيه إلى ما يريدون

وبدأ الغرب يؤسس لمسألة الحريات في ذلك الزمن ، وهذه الحريات كانت دعوة يسيرة ، وبعد ذلك الانفصال الذي أسسوه في القرن السابع وهو أن الدين المسيحي والكتاب المقدس لا علاقة له بالسياسة ، وأنه بعد هذا الصراع الطويل لا يمكن أن يحكم الدين ذلك الأمر في مجتمعاتهم وأحوالهم، وأن هذه أمور خاصة للناس ،وأن هذه الديانات كلها ديانات تسامح ،(**الكاثوليكية**) أو (**الارثدوكس**) وكذلك أيضا (**البروتستنت**) ، أن هذه الديانات يأخذون منها ما يشاؤون وكلها تؤدي للتسامح وكلها تؤدي الى الله جل وعلا ،فوصلوا إلى هذا الامر

أسسوا في ذلك الزمن ما يسمى بـــ (**الليبرالية السياسية**) فظهر ذلك الامر في ذلك الزمن في القرن السابع ، ولكنها مشوبة بجملة من الظلم من الكبت ، وكذلك عادات الناس التي لم يصححها أحد ،كانت من جملة تحكيمات العقول

[الرق عند المسيحيين]

وكان في أوربا ما يسمى بقهر العمال ،الذي يسمى بالإقطاع ، فكان لدى الأوربيين والبيئة المسيحية ،عبودية تختلف عن عبودية الاسلام والرق في الاسلام

الرق في الاسلام سببه :الكفر والأسر ، أن من لم يرض بحرية محمد صلى الله عليه وسلم ،وقبل بأن يقاد خلف هؤلاء الذين حرفوا كلام الله جل وعلا من الأحبار والرهبان فليأتي إلى العبودية عبودية الإسلام أن يكون قنا، وكذلك أيضا معبودا يباع ويشترى ، ولا يجوز أن يأخذ من ذلك حق ،فإن لطمه صاحبه تحرر ، وكذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم كما هو ظاهر في كلام الله جل وعلا وكذلك في كثير من نصوص السنة ،جعل النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا من الذنوب تكفّر بتحرير أولائك ، من كفارة اليمين وكفارة الظهار وكذلك أيضا قاتل النفس وغيرها من الكفارات وحثّ أيضا على عتق الرقاب في نصوص كثيرة بتحرير هذا الأمر مما يدل على أن هذا الأمر لم يكن مقصودا في ذلك ، ولكن هو إخراج لهم من بيئتهم التي هم فيها حتى يعيشوا حرية الإسلام والإيمان ، عن قرب بعيدا عما هم فيه ولو كانوا قد بقوا على ما هم عليه

بقي في تلك البيئة عبودية منفكة عن عبودية وعن رق الإسلام ، والرق في المجتمعات في هذه الأرض يختلف عن الرق لدى المجتمع المسيحي لا في عصر اليونان وفلاسفتهم وكذلك أيضا في الإسلام كان هذا الرق في أوربا يختلف ،وذلك أن العبودية في أوربا هي عبودية للأرض ،فكانت المزارع فيها أناس يعملون فيها ،والعبودية لهذه الأرض لا يخرجون منها ،فإذا باع هذه الأرض يكون معه أولائك العمال ،وهؤلاء العمال لا يخرجون إلى أي أرض أخرى ، وهؤلاء.......... يشاركونهم من رجال الكهنوت ،هؤلاء بلغوا أدنى مراتب العبودية ،أما الرجل منهم إذا أراد أن يتزوج امرأة منهم بكرا أنها لا تحل له حتى يطأها صاحب الأرض حتى تحل للرجل الذي يريد أن يتزوج ، فكانت عبودية قاسية عليهم

لما كان التمهيد لتلك الحرية وكذلك الحرية السياسية وأمر الاجتماع كما تقدم في القرن السابع ، كان تمهيدا للنظر في سائر أبواب الحريات ، جاء ذلك الأمر وتلك العبودية وهي عبودية الإقطاعيين ،الذين يتبعون لأصحاب الأرض وملاكها ،جاءت تلك العبودية في أذهان كثير من الناس وعقلائهم وكذلك أيضا مفكّريهم وفلاسفتهم ،أن فكروا في ذلك الأمر أن يرجعوه إلى أصله فلم يجدوا بدا من إنكاره ،فكان ثمة إنكار يسير يظهر فترة ويخبو أخرى ، ولم يقدروا على كبت من يقوم بهذا الأمر ،لاعتبار أن من يقوم بهذا الأمر هم أصحاب رؤوس الأموال وكذلك أصحاب المماليك فكانت ثمة ملوك، فقارة أوربا كانت على طريقة الملوك لم تكن على طريقة تداول السلطة كما في الأزمنة المتأخرة ،كان الذي يملك

–مثلا فرنسا– ملوك يتعاقبون عليها ويتوارثون الملك كذلك أيضا في ابريطانيا ،وربما ما يزال ، وكذلك في إيطاليا ، وغيرها من دول العالم ، كان ثمة أطر للناس وقوة في.......الملكية في هذا الأمر ،فلم يستطيعوا المجابهة في هذا الأمر

[دعوة جون جاك روسو ، وفولتير]

حتى جاء اثنان من المفكرين في فرنسا، وكان الإقطاع فيهم على شدته وتلك العبودية وهم (جون جاك روسو) وتبعه ، وتبعه على ذلك جماعة من الفلاسفة ، ومن أشهرهم في ذلك (فولتير) وقد دعوا إلى نبذ هذه العبودية ....(جون جاك روسو) هو قد تأثر بالكنيسة البروتيستانتية كما تقدم الاشارة إليه ، له قراءات فيها ،أما (فولتير) فربما يميل إلى الإلحاد وله قراءات في الإسلام ،قد قرأ في الإسلام وامتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثر فيه في دعوته فله كتاب في ذلك يسمى(**العادات**) قد امتدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: محمد من أعظم مشرعي العالم، وترجم هذا الكتاب إلى العربية ترجمه أحد المفكرين من المصريين ، كذلك أيضا له كتاب في حضارات الأمم ، ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :إنه من عقلاء العالم وفلاسفتهم وعلمائهم وصاحب الدين العقلاني ، يعني محمد صلى الله عليه وسلم الذي يتوافق مع الفطرة

فهؤلاء قد دعوا إلى نبذ الرق والعبودية التي كانت في أوربا فظهرت بعدهم بفترة يسيرة بنحو عشر سنوات ،الثورة الفرنسية على المماليك وإخراج هؤلاء العبيد ،وتسمى بالثورة الفرنسية وهي عام 1789مـــ وهي في أواخر القرن الثامن عشر وهي قريبة بنحو قرنين ، ظهرت الثورة الفرنسية على هؤلاء الذين يسمون بالنبلاء ، واسم النبلاء من الألقاب ألقاب التشريف لا علاقة له بالدين ، يسمون بالنبلاء باعتبار أن لهم طبقة يختلفون عن غيرهم ، بالمال ،أو أنهم يرجعون إلى السلطة بنسب أو سبب، أو يسمون أيضا برجال الكهنوت يسمون بهذا النحو ، فقاموا عليهم بالقتل والتشريد وكذلك أيضا بطردهم من الأرض وقتل ما يستطيعون من رجال الكهنوت ، وكذلك ما يستطيعون من رجال السلطة ، فقتلوهم وفتحوا السجون للذين سجنوهم في ذلك الزمن ممن يعارضهم وفتحوها على مصراعيها ،وقاموا بأثر شديد على الكنيسة فقيل إنه في باريس قد أغلقوا 2400 كنيسة، وقلبوها إلى مدارس عقلية ،وقاموا على الكنائس ، وأمروا رجال الكهنوت أن يتحرروا من الدين بالكلية ، فأرجعوا ذلك إلى أمر العقل

ثم كان ثمة نفسة في هذا الأمر ورجعوا إلى نوع من العقل في ذلك ،وأن هذا نوع من الغلو في تحكيم العقل ، منع كثير من الغرب من المسيحيين في مجتمعاتهم ، إذا نظرنا إلى بيئة العقل في ذاتها وهي الانفكاك بين العبد وبين ربه ،وأن يكون ثمة وسطاء من جهة أصله من ابتداء المجتمع المسيحي من بعد وفاة عيسى عليه السلام ، حينما بدّل وأصبح الكتاب المقدّس بأيدي رجال الكهنوت فحرفوه و لم يخرجوه إلى الناس ، و لم يخرج بصورته التامة إلا بعد أكثر من قرن من وفاة المسيح عليه السلام

[المقاومة بالعقل دون الدين فاشلة]

فكان ثمة شائبة وانقطاع إسناد في ذلك واستعبدوهم من دون الله جل وعلا ، فرجعوا إلى ما كان يدعوه إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ولكن تجاوزوه إلى أبواب الانفلات فقاوموا الكنيسة بالعقل وما قاوموها بالدين ، والعقل المشوب الذي أثرت عليه مؤثرات بالسابقة السالفة في المجتمعات الغابرة من البغي والعدوان ، فإن الإنسان إذا كان على بغي وعدوان فإن ردة فعله تكون مناقضة لذلك الأمر فيغيب عنه جانب التعقل والتوسط في ذلك ، فالنبي صلى الله عليه وسلم دعا الغرب ودعا المسيحيين ،إلى كثير مما وصلوا إليه لا إلى كل ما وصلوا إليه ، مما جاء في الدعوة اللوثرية وكذلك الدعوة الكاثوليكية في القرن 17 ، يعني بعد 900 سنة أدركوا ولكم لم يقروا بالإسلام فأصبحوا إلى درجة وسط أنهم يسوغ لهم أن يخرجوا من دينهم ، ولكن إلى أي دين شاؤوا

بدأ التأصيل إلى ما يسمى بتحكيم العقل و لم يرجعوا إلى دين ، فقاوموا الكتاب المحرف بعقل مجرد ، يتأثر بالمؤثرات ، لهذا أصبح العقل يتباين من زمن إلى زمن فأصبحت الليبرالية متشعبة في أبواب السياسة وكذلك في أبواب المجتمع وفي أبواب الاقتصاد ، وخرجوا بنتيجة تامة يتفقون عليها ،أن الإنسان ينبغي أن تُحيى فيه حريته من أي مسيطر كان ، وأصبحوا يقرؤون في تاريخ الكنيسة من البغي والظلم والقهر ..وأنه ينبغي أن لا يعود ، فأصبح ذلك الهاجس لديهم حتى غلوا وجنحوا في ذلك ،وأصلوا ذلك الأمر وهو :الحرية الفردية أنه ينبغي أن يحرر الإنسان من كل مؤثر عليه فبالغوا ونبذوا النسب ونبذوا الأسرة ونبذوا العاقلة ،ونبذوا كذلك حقيقة الإنسان وصلته بعائلته ومجتمعه وغير ذلك... باعتبار أن هذه مؤثرات تؤثر على الانسان

[الحريات المزعومة]

وهذه أمور فطرية لم يُرجعوا كثيرا من ممارساتهم إليها ، فإن الله جل وعلا أمر بالمحافظة على الفطرة وكذلك حمايتها من أي شائبة فيها ، والفطرة إذا بُدِّلت لم يكن ثمة توازن بفهم النص ، فظهر لديهم مع الزمن في القرنين الماضيين تطور ما يسمى بحرية الفرد ، فتجاوزوا في مسائل الحرية الجنسية في أمور الفواحش وعبروا عنها بعبارات لطيفة ونحو ذلك ، يسمونها بالحرية الجنسية والحرية الشخصية ، وكذلك أيضا حرية الاقتصاد ، أي حرية المعاملات ، حرية الأفراد ، الحرية السياسية ، فأصبح الانسان هو الذي يدير نفسه ، في أبواب السياسة الإنسان هو الذي يختار السلطة ، باعتبار ما يسمى بالديمقراطية و.......البرلمانات ، وتداول السلطة ،أن يجتمع أناس فينتخبون فردا من كل حي أو كل مجتمع ، ينتخبون فردا وهذا الفرد يجتمع مع أفراد المنتخبين من مناطق أخرى ثم يرشحون فردا منهم وهكذا...، فيصبح ثمة تسلسل في اختيار الفرد لسياسته

كذلك أيضا في مسألة الامور المالية يبيعون ويشترون ما يشاؤون ،شريطة أن لا يؤدي ذلك إلى الإضرار بالغير ،فيمارس الانسان حريته الذاتية بما لا يضر غيره ولا يؤثر غيره عليه ، فبالغوا في مسألة أن لا يؤثر غيره عليه مبالغة شديدة حتى

وصلوا إلى الغلو في ذلك والوسوسة في هذا الأمر ،حتى أصدرت الدول الأوربية وذلك وقع عليه للأسف كثير من الدول الاسلامية ما يسمى بـــ: حقوق الطفل ، وأنه للطفل بمجرد ولادته أن لا يؤمر بأي عقيدة وإنما يترك للشارع ، ولا يؤخذ إلى كنيسة ولا يؤخذ إلى مسجد ولا يؤخذ إلى أي شيء ،وإنما إذا خرج يختار ما يريد

كذلك أيضا حرية الانسان فيما يسمى بالفاحشة ، ويسمونها بتلطيف العبارة بـــ: الحرية الجنسية ،ونحو ذلك ،أنه لا تحاسب المرأة على غشاء بكرتها ،ولا تحاسب المرأة باسم الأسرة أن تحافظ على هذا الأمر ،ولا يحق للزوج أن يراقب زوجته ،وعلاقة الزوج بالنسبة لزوجته كعلاقة الزوجة بالنسبة لصديقها في عملها ونحو ذلك ، وثمة جزئيات بعضهم يوافق عليها وبعضهم لا يوافق حتى بلغوا في الوسوسة في ذلك الامر أنهم قالوا: لما كانت الأسرة لها أثر باعتبار أنها تؤثر على الإنسان أرادوا أن يفكّهوا المجتمع باعتبار أن الطفل ليس لأبيه أن يأمره في ذلك ،فقالوا :الطفل إذا ضربه أبوه تسقط ولايته منه ويتولاه غيره، أنه ينبغي أن لا يأطره على شيء ،وأن يخرج إلى الدنيا ويختار ما يريد ،كذلك أيضا البنت تختار ما تشاء وتفعل ما تشاء حتى في زمن مراهقتها

وظهر لديهم ما يسمى بالثقافة الجنسية ونحو ذلك ، وما يسمونه بالصحة الإنجابية ،وهذا ترجَمَتها بالعربية أنه ينبغي حماية الطفل من آثار الإنجاب لا من ممارسة الجنس ،فدخل في المدارس عند الأطفال ما يسمى بالثقافة الجنسية ، أي كيف يحمي الطفل نفسه من الوقوع في الولادة ونحو ذلك عن الفتاة ، ولا يلتفتون إلى هذا الجزء إلا أن ثمة متاعب تلحق الطفلة من غير أن تُدرك وأما ممارستها تلك فهي ترجع إليهم ،فعطلوا القبيلة وعطلوا الأسرة وعطلوا كذلك أيضا الصلات الاجتماعية فأصبح الإنسان منفكا ،يسهل استهدافه بوسائل الإعلام وإغراؤه ونحو ذلك

كثير من المسلمين في المجتمعات الشرقية ينظر إلى بعض الجزئيات ويفصلها من عقدها المنظوم بالنسبة للعقلية الليبرالية أو العقلية الغربية فيأخذها ويقول مثلا : ندرس الثقافة الجنسية أو صحة الإنجاب ونحو ذلك ، أو على سبيل المثال يأتي ببعض أقوال الترخص فيقول إن بعض الفقهاء من أهل الرأي يجيز -مثالا- نكاح المرأة بلا ولي ونحو ذلك فيجعلها ضمن نسق عام يتفق مع تلك المنظومة الغربية التي يدعى إليها وفصل تلك المسائل عن تلك المنظومة هو من القصور في العقل

فينبغي للإنسان أن يستوعب تلك الأفكار وأن يستوعب ذلك الأمر الذي يريدون أن يصلوا إليه
لما جاءت هذه الدعوة وأصبحت في كثير من البلدان تتباين درجة الحرية وغيرها ،إلا أنه في جميع بلدان الغرب يتفقون على مبدأ واحد في الحرية ،أنه يجب على الدولة أن لا تتدخل في حرية الأفراد ، فهذا الذي يتفقون عليه ، كذلك أن الإنسان يمارس ما يريد بما لا يؤثر على غيره ،ولكن يختلفون في جزئيات يسيرة في هذا الأمر ويختلف من دولة إلى دولة ، ومن بلد إلى بلد وكذلك أيضا بحسب أثر العادات ، وكذلك الدين في ذلك

جاءت هذه الدعوة إلى الغرب وبدأ الغرب بتصديرها إلى بلدان المسلمين ، ولما كان كثير من البلدان الشرقية يعانون من بعض ما يسلبون من حقوقهم ، سواء بأثر العادات أو ما يتعلق ببعض الظلم ونحو ذلك ، يأتون إلى هذه الدعوة العامة التي تسقط على ممارسات وجزئيات يسيرة مع إغفال المنظومة التامة وحقيقتها من جهة أكلها من حياة الناس ودينهم ، وتطبيقها على حياتهم فيأخذونها باعتبار أنهم يفكرون على حريتهم سلب منهم المال ، حقهم في الارض ،حقهم في كذا.. حقهم –مثلا– في الاختيار ونحو ذلك ، ينظرون إلى جزئيات ولا ينظرون إلى مدرسة تامة يرتمون في أحضانها ، فأصبح ثمة إشكال عظيم جدا في فهم هذه الأمور

[تأثر المسلمين بالليبرالية]

ثمة كثير من المسلمين لما استجاب بالوهلة والانبهار إلى أمثال هذه الدعوة ذهب إليها ، تلته نصوص الكتاب والسنة فأحجم وانبهر بهذه الأدلة التي تعارض على ما هم عليه منهم من دعا إلى ما يسمى بالليبرالية الاسلامية ، وحاول التوسط في ذلك حينما وصل إلى نصف الطريق ، ومنهم من تجاوز القنطرة ودخل وعاند وكابر في ذلك ، ومنهم من بقي في حياض الإسلام وحاول أن يستفيد من ذلك الانفلات العقلي في بلاد الغرب ويوصله إلى بلاد المسلمين ، وهؤلاء لا يخلون من أخطاء، فأصبح كثير منهم يؤصل لكثير من المسائل التي يراها في بلدان الغرب يريد تطبيقها على نحوٍ قاصر أو معارض لكلام الله جل وعلا في بلاد المسلمين ،فأصبح يستدل ببعض النصوص من كلام الله جل وعلا ومن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو لا يتفق مع الشرع ، ولا يتفق مع العقل لمن أراد العقل

وثمة طائفة أخرى عظُم عليها الطرح بالعقل ،أنك مكبوت وأنك تعاني من قهر وظلم، فلما كان ثمة إسراف في هذا الباب فإن الإنسان صدق هذا الأمر وأصبح ينظر في نفسه بتوجّس ،وأن ينظر إلى الأمر الذي يعطى بتوجّس وصدق أنه في كبت وأصبح يريد التحلل والتحرر في مثل هذا الأمر ، فأصبحت الليبرالية في بلدان المسلمين هي ليبرالية خريجة ، لا يستطيعون أن يرجعوها إلى أصلها ، ولا يستطيعون أن يفهموها وأن يصلوها بنظمها وسلكها وكذلك أيضا خرزها حتى ينظر إليها عقدا تاما ،فينظر إليه بقبح وحسن ، لكن ينظرون إلى تلك الجزئيات فيسقطونها على ذلك التشريع

وينبغي أن يعلم أن ذلك التأصيل العام ،بهذا النحو من أخطر ما يكون على بلدان المسلمين إذا أخذ على هذا النحو التام ،كثير من الناس لقصور عقله ينظر إلى جزئيات إلى خرَزة من ذلك العقد ثم يقول :هذا أمر حسن وهذه الخرزة لا يمكن أن تنفك من ذلك العقد بذاته ،إذا جاءت هذه الخرزة جاء ما يليها ،لهذا ينبغي على الإنسان أن يحتاط بأن يسقط نوعا من الحق ولو حُرِم فيه حفاظا على المنظومة العامة للإسلام ، وأن يحافظ على دينه كما يحافظ القطان على قطنه وإسفنجه من السفود، فإن الانسان صاحب القطن إذا أراد أن ينظف القطن والاسفنج من السفود وهو الشوك الذي ينغمس فيه فإنه لابد أن يجذب معه شيء من الاسفنج فيضيع شيء من ذلك حفاظا على الاصل الذي استقر لديه من دين وكذلك أيضا مما هو عليه ،لذلك ينبغي للإنسان أن يتعامل مع هذه الأفكار لا بتعامل مسائل وقضايا جزئية ويريد أن يحصلها ونحو ذلك

وهؤلاء الذين كثر الطرق عليهم بالكبت ونحو ذلك أصبحوا ينظرون إلى بعض الجزئيات بحال التوجس ،فينظر الطفل إلى حال أبيه ،أن ينظر كذلك أيضا الرجل في الشارع إلى من يأمره وينهاه ويرى ذلك من التسلط وكذلك الجبروت ونحو ذلك ،فتنشأ في النفوس أمثال هذه الدعوات حتى ربما يدعون إليها بضلال وبغي

[خطورة الليبرالية]

هذه الدعوة ينبغي أن تفهم على هذا النحو ، والليبرالية بحاجة إلى كلام أوسع في هذا الأمر ، وبحاجة إلى إرجاعها إلى أصلها وفهمها كمنظومة تامة، وأخطر ما في الليبرالية هو أن تدخل تلك المنظومة التامة تحت ستار التشريع وهذه الليبرالية كما تقدم الإشارة إليها لّما جاءت إلى بلدان المسلمين ، وجاء رأسها وظفرها إلى بلدان المسلمين انبهر كثير من الناس بها فانساقوا إليها ككثير من الناس الذين ينساقون إلى كثير من الدعوات

الناس انقسموا على ثلاثة أقسام

1= أناس انتظروا وهم أهل العقل والحصافة ، ينظرون إليها حتى تتميز وتبين

2= وأناس قد ذهبوا إليها فلما لحقتهم وتبعتهم نصوص الكتاب والسنة ، وأن الأدلة من الكتاب والسنة جاءت على هذا النحو ، توقفوا على تلك القنطرة إذ التفتوا إلى الإسلام وإلى الكتاب والسنة انبهروا بقوة الحجة ووضوح الدليل مما لا يمكن تأويله ، وإذ التفتوا يمنة انبهروا بقوة المنطق وفلسفة العقل الغربي ، فأصبحوا في حيرة كحال كثير من المنافقين

3= وأناس معاندون تجاوزوا القنطرة وانغمسوا في أحضان ذلك الفكر

4= وأناس أصبحوا في حياض المسلمين وتشرئب رؤوسهم وأعناقهم إلى ذلك الفكر

فكان ثمة أناس بوازع الدين يريدون أن يؤصلوا بعض هذه الدعوات من تلك المنظومة ، يريدون أن تصل بلدان المسلمين إلى ما وصل إليه الغرب ،ولكن تلك المنظومة لا يمكن أن تنفصل على هذا النحو ، وينبغي أن يدعى إلى تصحيح الشائب من عادات المسلمين باسم الاسلام الصحيح لا باسم الدعوات الأخرى ، وأن يُبين الدليل وأن يلتزم النص بكلام الله جل وعلا وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا كما تقدم الإشارة إليه هو من أخطر الأنواع أن يُشرع لتلك المنظومة بجزئيات يسيرة

الأمر الذي ينبغي أن يُلتفت إليه أن النبي صلى الله عليه وسلم يسقط الحق إذا كان لفرد أن لا يدخل تحت ستار مضلة ضالة وهو هدم أصل عام ،قد جاء في الصحيحين وغيرهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مرّ على رجل وهو يعظ أخاه في الحياء ،فقال :إنه قد أضرّ بك فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير) النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى دعوة هذا الرجل يريد أن يعيد حق فرد بنقل أصل عام وهو أصل الحياء ، زجره النبي صلى الله عليه وسلم وقال (دعه فإن الحياء لا يأتي إلا بخير) فعطل حق ذلك الرجل و لم يبحثه لماذا؟ لأن حقوق الأفراد لا ينبغي أن تذهب تحت مظلة فاسدة، أو بإهدام مظلة عظيمة من مظلات الإسلام

كثير من الناس يريد أن يأخذ من المظلة العظيمة سلكا أو خيطا فيجر من تلك المظلة ما ينفعه في حرية فرده ونحو ذلك، وينسى أن تلك المظلة ستأتي وتظله وتظل غيره ويتساقط معها كثير من الأحكام التي لا يمكن أن تتفق مع الاسلام لا أصولا ولا فروعا

[بيان مضمون المحاضرات]

نحن في هذه المحاضرات نتكلم عن تلك الجزئيات ، وتلك الأدلة التي يستدل بها كثير من أهل الاسلام الذين بعضهم ربما يُحسن الظن بهم من كتاب وربما طلاب علم أو دعاة ، أو ربما مما يساء الظن بهم الذين يلتمسون الدليل ولا يلتمسون الغاية منه، فكان ثمة حاجة ماسة لجمع الأدلة التي يستدل بها هؤلاء ،وهذا مما تفتقر إليه دواوين العلم وكذلك أيضا المعرفة ،ولا أعلم أحدا ممن تكلم أو جمع الآيات التي يستدل بها هؤلاء وفحصها وتكلم عليها وبين الشبهة التي يريدونها في أمثال هذه الأدلة ،حتى تصح للناس العقول ويسلم لهم الدين فلا يمتزجون في شائبة هم أحوج ما يكونون للبعد عنها

الغرب عندما أخذ وعاد إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير إقرار بأن التوراة والإنجيل ليست في شيء وأن أهل الكتاب ليسوا على شيء ،كما ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ....ذلك الانفلات العقلي الذي هم فيه ،هل سينتظرون إلى مثل تلك المدة حتى يجعون العقل الذي هم فيه من أبواب الانفلات وهذا مالا ينبغي لعقلاء الغرب وكذلك عقلاء الاسلام أن ينساقوا أمثال ذلك وقد وهبهم الله جل وعلا ذلك الكتاب العظيم الذي هو تبيان لكل شيء وهو محفوظ لا يشابه غيره لهذا قال الله جل وعلا ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ الحجر: ٩ ،كثير من المسلمين الذي ينغمس في الدراسات الغربية، ينقل الخلاف الذي كان بين الفئتين ، بين الإكليروس وكذلك أيضا المجتمع الألماني من الغربيين الذي اندثر ذلك الأمر في الأزمنة المتأخرة ،ينقل ذلك الخلاف وتلك القراءات إلى ساحة المسلمين ويسقطها على الإسلام ،وينبغي أن يُعلم أن الإسلام لا يُمكن أن يواجه بأمثال هؤلاء ، الإسلام دين محكم وهو قائم إلى قيام الساعة

وقد ندم كثير من أصحاب الأفكار القومية أو القطرية أو العالمية أو سائر الفلاسفة الذين واجهوا الإسلام ،سواء من الماركسيين البعثيين أو الاشتراكيين ،أو الشيوعيين وغيرهم ، بمواجهة الإسلام ، ندموا ندما شديدا ، ولهذا مؤسس البعث **(ميشيل عفلق)** في آخر حياته قد عين معه لقاء فقال: ندمت أن واجهت الإسلام والإسلاميين .قيل له لماذا؟ قال: حينما واجهت الإسلام فقدت نصف أتباعي وذلك أن ذلك الكتاب والسنة هو محكم بيّن من أراد المحاجحة وانغمس فيها رجع إلى الحق لأن الإنسان صاحب فطرة والاسلام هو دين الفطرة التي فطر الله جل وعلا الناس عليها

[فقه المتشابه من التنزيل]

الله سبحانه وتعالى أنزل كتابه العظيم محكما بيّنا ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ آل عمران: ٧ يعني أصله ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ آل عمران: ٧ هذه المتشابهات هي التي يتشبث بها كثير من الناس بتسويغ كثير مما يريدون من الأهواء وربما بعضهم يحسن الظن به ولكن لقصور من العلم في ذلك ينساق خلف كثير من الدعوات ، ظهر كثير ممن يتشبث بأمثال هذه المتشابهات لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى ،هذه المتشابهات بين الله جل وعلا حال الناس فيها ، ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ آل عمران: ٧ يعني لهم مقصدان في ذلك

المقصد الأول: ابتغاء الفتنة وإثارة الزعزعة، وإفقاد المصداقية في الإسلام وضرب هذا بهذا حتى يقال أن الإسلام مما يتعارض ، وهذا قد بينه الله جل وعلا ،وأرجع المتشابه إلى المحكم فينبغي أن يُفهم على سياقه

[**المقصد الثاني**]: الأمر الآخر ابتغاء تأويله أي تشريع أمر يناقض الإسلام ،ولا يريدون .....بالاسلام ،فلم يرجعوا المتشابه إلى المحكم، وإنما عطلوا المحكم وأخذوا بالمتشابه قال عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله جل وعلا ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾ آل عمران: ٧قال(المتشابهات هي منسوخ القران ومُقدِّمه ومُتأخّره ومسائله ،وما يُأمَنُ به ولا يُعمل به) يعني مما لم يؤمر الله جل وعلا الناس بالعمل به ،باعتبار أنه قد عُمل به في فترة ثم نسخه الله جل وعلا، مرد ذلك إلى أهل العلم ،والذين يعلمون حكم الله جل وعلا

الله جل وعلا أطلق المتشابه في كتابه وأراد به معنيان:

المعنى الأول: المتشابه أي أن القران يشبه بعضه بعضا من جهة المعاني لا يمكن أن يوجد ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَـٰبًا ﴾ الزمر: ٢٣ الله جل وعلا أنزل كتابه متشابها أي يصدق بعضه بعضا يشبه الدليل الآخر ،كحال تشابه الانسان من جهة النسب ، فإن القافة [هو الذي يلحق الولد بأبيه بمجرد النظر]ينظر إلى هذا فيقول هذا ابن هذا ، فيلحق هذا بنسب هذا ،كذلك أيضا بالنسبة للآي يشبه بعضه بعضا ،لهذا قال قتادة –كما روى ابن جرير الطبري من حديث سعيد عن قتادة – في قول الله جل وعلا {كتابا متشابها}قال (يؤيد بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا ولا يكذب بعضه بعضا) وكذلك قاله سعيد ابن جبير –كما رواه جعفر عن سعيد ابن جبير– وقاله جماعة من المفسرين من السلف من التابعين كالضحاك وقتادة وكذلك غيرهم من المفسرين على هذا المعنى

المتشابه ينبغي أن يُرجع إلى المحكم

كثير ممن يتأثر بالأفكار العقلانية يتمسك ببعض الأدلة من كلام الله جل وعلا ويرجعها إلى مرجع ليس بصحيح ،وهذا من الجهاد ،جهاد الكلمة وجهاد البيان وجهاد الحق الذي ينبغي للإنسان أن يرجع إليه لهذا قال الله جل وعلا مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ التوبة: ٧٣ ،قال غير واحد من المفسرين كما روى ابن جرير الطبري وغيرهم من حديث علي ابن أبي طلحة عن عبد الله ابن عباس قال(جهاد الكفار

بالسِّنان وجهاد المنافقين باللسان) وقال ذلك غير واحد من المفسرين كمجاهد ابن جبر وقتادة والحسن وكذلك أيضا مقاتل وغيرهم من المفسرين ،أنه ينبغي بيان الحق للناس وجهاد المنافقين بالذات ببيان الحق لهم

[الآية الأولى {لا إكراه في الدين...}]

أول آية نتكلم عليها على شطرها ثم نرجئ الشطر الآخر إلى الدرس القادم هي قول الله جل وعلا وهي الآية الأولى ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾ البقرة: ٢٥٦ ،في قوله جل وعلا {لا إكراه في الدين} هذه الآية يريدها كثير ممن يتكلم على مسائل الحريات في حريات الدين فيضعونها في غير مساقها و يجتزؤونها من موضعها الذي أرادها وقصدها الله جل وعلا فيه..أولا لا تتضح كثير من الآيات إلا ببيان سياقها ، وإذا بان سياقها ،وكذلك أيضا اتضح سبب النزول الذي نزلت فيه هذه الآية ،اتضح للإنسان الحكم الذي أراده الله جل وعلا ،بعيدا عن توهمات كثير من الناس

استدل الليبراليون بهذه الآية على مسألتين اثنين:

المسألة الأولى :إبطال الجهاد ،أو ما يسمى بجهاد الطلب ،وأنه لا يوجد شيء اسمه جهاد طلب في زماننا باعتبار أن الإسلام قد قرر الحرية والجهاد ينافي الحرية حينئذ لا يوجد شيء اسمه جهاد الطلب

المسألة الثانية: حرية الاعتقاد ،فالإنسان يخرج من دين الاسلام كما يشاء وكذلك يدخل إليه ،قالوا الأمر في ذلك متسع على السواء ،الدخول منه و الخروج، لذا يسمونه حرية الاعتقاد باعتبار أنه جزء من حرية الفرد ،رجعوا إلى هذا الامر باعتبار هذا العموم في قول الشارع {لا إكراه في الدين}في هذا المجلس نتكلم على سبيل الاختصار في الجزئية الأولى وهي ما يتعلق بإبطال الجهاد

[سبب نزول الآية]

أولا هذه الآية نزلت في بني النضير وكما روى أبو داود في كتابه السنن من حديث شعبة عن أبي بشر عن سعيد ابن جبير عن عبد الله ابن عباس قال (**كان أهل المدينة لّما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل – يعني – أن يقدم تكون المرأة مقلاةً –يعني لا يُنجب لها شيء– أو يموت في ولادته أو في رضَاعه ،وتقسم إن ولدته ذكرا أو أنثى أن أجعله في اليهود**)لأن أهل المدينة كان فيهم وثنية فيرون أن أهل الكتاب من بني النضير أنهم أصحاب كتاب فيتيمنون بهم على سبيل التشهير في ذلك فيضعون أبناءهم عندهم فكان هذا نوع من الجاهلية ، فولد كثير من نساء الأوس أولادا وإناثا ،فجعلوهم مسترضعين عندهم

لما جاء النبي صلى الله عليه وسلم و أصبحت هذه العلاقة موجودة وأمر الله جل وعلا نبيه صلى الله عليه وسلم أن يُخرج اليهود من المدينة ،بقي هؤلاء الذين معلقين بين أولائك ، جاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ،فقالوا: إن أبناءنا يريدون أن يخرجوا مع اليهود وكانوا على دينهم أي تدينوا بدين اليهود فبقوا على أمرهم فدعاهم النبي صلى الله

عليه وسلم قبل ذلك ، وبقوا على دين مسترضعيهم من اليهود ،فعرض عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام فامتنعوا فأنزل الله جل و علا قوله {لا إكراه في الدين}وهذا مما لا خلاف فيه أن من كان من أهل الكتاب على دينه لا يُكره على دخوله للإسلام ،لكن إن دخل الإسلام فإنه لا يخرج منه ، وهذا الذي يخلط فيه من يتلكم عن هذه القضية

[الفرق بين أهل الكتاب والوثنيين في باب الجهاد]

ما يعنينا في هذا الأمر ما يتعلق بمسألة الجهاد إذا عُلم السياق المقصود منه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنزل الله جل وعلا عليه في ذلك الأمر في ثنايا جهاد وهو إخراج اليهود من بني النضير من المدينة ،إلى خيبر وكان ذلك بداية الصراع في ذلك وما كان قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني النضير و بني قريضة إلا بعد ذلك ، فكل جهاد النبي صلى الله عليه وسلم بعد هذا كذلك ينقض هذا ويبيّنه ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيان أن الجهاد باقٍ إلى قيام الساعة كما جاء في صحيح الإمام مسلم من حديث ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر ابن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى قيام الساعة حتى يترل المسيح عيسى ابن مريم) وهذا فيه إشارة إلى أن المقاتلة في سبيل الله باقية إلى قيام الساعة وقد جاء في ذلك جملة من الأخبار في الصحيح أيضا من حديث معاوية ، وكذلك أيضا من حديث عبد الله ابن عمرو ، وقد جاء في ذلك أيضا ما رواه ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق من حديث يزيد ابن أبي زياد عن أنس ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لايزال الجهاد حلوا خضرا ما نزل القطر من السماء وإنه يأتي أقوام يقولون :لا جهاد أولائك هم شرار الخلق) وهذا الحديث فيه ضعف ولكن جاء من وجه آخر بإسناد يعضده عند ابن عساكر من حديث عبد الرحمن ابن زيد ابن أسلم عن أبي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (إن الجهاد لا يزال حلوا خضرا ما نزل القطر من السماء وإنه يأتي أقوام في آخر الزمان يقولون لا جهاد ولا رباط) فقالوا: يا رسول الله أوَ قائلون ذلك ؟ قال (نعم ، من عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) وقد جاء في ذلك جملة من الأخبار

ثم أيضا هذا المعنى يعني إبطال جهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان بعد ذلك في بني قريضة وبني النضير ، وكذلك جهاد سائر الخلفاء الراشدين على بطلان ، كذلك من نظر إلى آيات أخرى في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجاهدة الكفار والمنافقين والغلظة عليهم كما تقدم الإشارة إليه

كذلك أمر الله سبحانه وتعالى في قتال من يلي أهل ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ التوبة: ١٢٣ وقول الله جل وعلا ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ التوبة: ٧٣

وجهاد الكفار بالسنان وجهاد المنافقين يكون باللسان ، و لم يقل أحد من علماء الاسلام لا من المتقدمين ولا من المتأخرين أن الجهاد الطلبي منسوخ وإنما يتباين في المصلحة من زمن إلى زمن ، والذي يقول في ذلك أهل الحل والعقد من ولاة أمور المسلمين فينظرون في تحقيق هذا الأمر بحسب المصلحة التي ترجع إلى المسلمين في دينهم ودنياهم وهذا ثمة أدلة كثيرة ويكفي في ذلك قطعيته وإجماع أهل الإسلام في ذلك

وينبغي أن يُعلم أن أهل الكتاب يختلفون في أمر الجهاد عن الوثنيين ، الوثنيون يقاتلون ولا يقبل منهم جزية ،ولا يقبل منهم إلا الدخول في الإسلام ،وإنما يجوز للمسلمين أن يتغافلوا عنهم ، ويدَعوهم ويكون بينهم بيع وشراء ونحو ذلك ولكن لا يقبلوا منهم جزية ، ولا يقبلوا منهم إلا الإسلام ،وهذا يدخل فيه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة وغيره (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله...)إلى آخر الخبر ، اتفق العلماء على أن المراد بذلك هم الوثنيين وليس المراد بذلك هم أهل الكتاب ،وإنما أهل الكتاب يقاتَلون إذا لم يدفعوا الجزية أو خرقوا العهد والأمان بينهم وبين المسلمين ،يدعوهم أهل الإسلام للإسلام فإن امتنعوا يؤمرون بالجزية إن دفعوا الجزية يبقون على ما هم عليه ويكونون بين المسلمين ،ولا يؤمرون بالسيف فيوضع السيف على رقابهم أن يدخلوا الإسلام ،ولا يقبل منهم إلا......فهذا ليس على أهل الكتاب ،وإنما الله قيد ذلك دفعهم الجزية كما في قول الله سبحانه وتعالى ﴿ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة: ٢٩ وخص ذلك بأهل الكتاب في قول الله جل وعلا ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التوبة: ٢٩ فالله جل وعلا أمر بقتالهم حتى يكونوا على هذا الأمر، إذن ثمة فق بين الوثنيين وبين أهل الكتاب من جهة التعامل والعلاقة وهذه من خصائص أهل الكتاب الذين يتباينون عن الوثنيين في هذا الباب ..ولذلك بسبب النزول اتضح هذا الأمر ، وكذلك أيضا اتضحت المسألة الآتية الأخرى وهذا من المتشابه الذي ينبغي أن يُعاد إلى المحكم من كلام الله جل وعلا وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم

أما المسألة الأخرى وهي فيما يتعلق بحرية الاعتقاد ،هي الشبهة التي وردت في هذه الآية ، نتكلم عليها بإذن الله عز وجل لأنها تحتاج إلى كلام طويل في المجلس القادم بإذن الله سبحانه وتعالى

[فترة الأسئلة]

ونجيب على ما تيسر من الأسئلة وورد فيها مما يتعلق بالباب ونعتذر عما خرج عن موضوع اليوم:

س1= هنا يسأل عن معنى كلمة (الليبراليين)

ج1= الليبرالية هي :الحرية، فيقال :ليبرالي يعني: حر ، هذا أصلها من جهة الاشتقاق على هذا المعنى ، ثم توسعوا في أبواب المعنى وتصنيفه إلى حريات اجتماعية واقتصادية وسياسية وتنوعوا في تقسيمات حريات الأفراد وغير ذلك مما يأتي بعض الجزئيات بإذن الله وهذا يحتاج إلى كلام مطول ومفسر في هذا الأمر

تم بحمد الله تعالى وفضله

فَرَّغَهُ أَبُو مَالِكٍ إِبْرَاهِيمُ الفُوكِيّ